الرهائن السياسيون في عهدِ عبد الرحمنِ الداخلِ (١٣٨- ١٧٢هـ / ٧٥٥- ٧٨٧م)

رهائنُ الصراع مع يوسف الفهري:

لم تطأ قدمُ عبد الرحمن بن معاوية أرض الأندلسِ إلا ودخلَ في صراعٍ قوي مع يوسف الفهري، ذلك الصراعُ الذي نتج عنه العديدُ من الرهائن، ونجدهُ عندما نزل بالمنكب سار حتى وصلَ طرش(٣٩) وأقامَ فيها عند منزل عبد الله بن خالد، وتسامعَ الناس بخبر قدوم عبد الرحمن فقدموا عليه معلنين تأييده ومبايعته(٤٠) وأنضم له العديد من المؤيدين والأنصار(٤١) ويؤكد على ذلك المقري بقوله: " وانثالَ عليهِ الناسُ انثيالاً "، وحصل على مبايعةِ معظم أجنادِ وقبائلِ الأندلسِ، وأيدتهُ جماعاتُ اليمنيينَ من أجنادِ الأردنِ وفلسطين وحمص حتى قوي أمرهُ(٤٢) وذلك في الوقت الذي انفض العديد من مؤيدي يوسف الفهري والصميل عنهما(٤٣).

(٣٩) طُرُّش: بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضا وآخره شين معجمة ناحية بالأندلس تشتمل على قرى وهي من كورة إلبيرة؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤.

(٤٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٢١؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٨.

(٤١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤.

(٤٢) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٢١؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٢٨.

(٤٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٢١؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٢٨.

وتشاور زعماءُ الموالي الثلاثة وهم (عبيد الله بن عثمان، عبد الله بن خالد[٤٤]، ويوسف بن بخت[٤٥]) واتفقوا على إخفاء غرض عبد الرحمن الحقيقي في طلب السلطة، والاكتفاءِ بطلبِ الحمايةِ والأمانِ والرغبةِ في استعادةِ الأنحماس التي تعود لجده هشام بن عبد الملك في الأندلس[٤٦] وحاولوا تضليل يوسف الفهري، فكتبوا إليه بأن عبد الرحمن لم يَعبُرْ إلى الأندلس طمعًا في الملك، بل جاء يطلب الثراء والأمان بين مواليه[٤٧] فقد قيل ليوسف الفهري: أن عبد الرحمن لم يظهرْ لطلب سلطانك، وإّنما جاءَ يطلب معاشًا وأمنًا، فأعتقد يوسف أن عبد الرحمن الداخل يسعي من مجيئه للأندلس الحصول على المال والمكانة فيها، ومن هنا بدأت المفاوضاتُ بين الجانبين، وأرسلَ يوسفُ الفهري، لعبد الرحمن الداخل وفداً من ثلاثةٍ من معاونيه المقربين وهم عبيد الله بن علي، وخالد بن زياد كاتبه ومولاه، وعيسي بن عبد الرحمن الذي كان على أرزاق الأجناد[٤٨] وكانت لدي الوفد تعليماتٌ بعرضِ الثروة والزواج من إحدى بنات يوسف على عبد الرحمن، إذا ما كفَّ عن المطالبةِ بإمارة الأندلس ولكن المفاوضات باءت بالفشلِ[٤٩]، فأعلنتِ الحربُ وكان الالتقاءُ في المصارة في صباح

(٤٤)عبد الله بن خالد: عبد الله بن خالد بن أبان بن أســـلم، من مولي عثمان بن عفان. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢.

(٤٥) يوسف بن بخت: أبو الحجاج يوسف بن بخت الفارسي مولي الخليفة عبد الملك بن مروان، دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة (١٢٣هـ/ ٧٤١م)، وكان يوسف بن بخت من القائمين بأمر عبد الرحمن الداخل قبل جوازه إلى الأندلس، إذ أخذ له البيعة من جند الأردن، وبعد نجاح عبد الرحمن الداخل في إقامة دولته استحجب يوسف بن بخت، كما كان يستخلفه على قصره عند خروجه للغزو أو لإخماد ثورة من الثورات، وتوفي يوسف بن بخت بمدينة طليطلة في عهد الأمير هشام الرضا. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٩؛ ابن الأبار: الحلة الســـيراء، ج٢، ص ٣٧٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٤٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٤٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٦٦- ٦٦٨.

(٤٦) المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٤٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥١، ١٥٢.

(٤٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٥.

(٤٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤.

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن المحادثات بين يوسف الفهري وعبد الرحمن الداخل أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤- ٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٣.

الجمعةِ) العاشر من ذي الحجة ١٣٨هـ /الخامس عشر من مايو٧٥٦م)[٥٠]، والتي انتهت بانتصارِ الأمير عبد الرحمن الداخل، ولم يكن أمام الصميل سوي الهروب إلى جُندهُ في جيان، وأما يوسف الفهري ففر من المعركة، حتى وصل طليطلة[٥١].

ونال يوسف الفهري في طليطلة تأييد حاكمها هشام بن عذره الفهري، فحشد يوسف في طليطلة ونواحيها ما استطاع من أنصاره، بمعاونة عامله عليها هشام بن عذرة، ووافاه الصميل بمن حشد من المضرية، وقاد يوسف هذه القوات إلى جيان، حيث كان الصميل يستنفر بأتباعه هناك، فالتقيا واستولوا على جيان، ثم إلى البيرة[٥٢]، وأجبروا عاملها على الفرار منها، وعندما علم عبد الرحمن بخبرهما أعد حملة وسار بها إلى البيرة، وعندما وصل هناك وجد أن يوسف والصميل مستعدان للمفاوضات، ففضلا الصلح مع عبد الرحمن، وبحضور القاضي "يحيى التجيبي"[٥٣] جري الصلحُ بينهما [٥٤] سنة (١٤٠هـ /٧٥٨ م) وكانت بنودُه على النحو الآتي :

- أن يسلمَ يوسفُ الفهري والصميل الأمرَ لعبد الرحمن بن معاوية على أن يؤمنا في أموالهما ومنازلهما وأن يؤمن الناس كلهم.
- يطلق كل واحد منهما من في يديه من الأسرى، وأن يسودَ السلامُ بينهما.

(٥٠) لمزيد من التفاصيل عن معركة المصارة أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٢ - ٩٦. أحمد مختار العبادي: شخصية عبد الرحمن الأول الأموي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٢٩، ١٩٩٧ م، ص ٢٥.

(٥١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٤٨؛ ابن الأثير، ج ٤، ص ٤٩٥؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج ١، ص ٤٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٧؛ ابن خلدون، تاريخه، ج٤، ص ١٥٥؛ الذهبي: تاريخه في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب، العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٠٢.

(٥٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٧.

(٥٣) يحيى بن يزيد التجيبي: كان رجلا صالحا، استعمله على القضاء في الأندلس عمر بن عبد العزيز، فزاده الداخل إجلالا وإكراما، فبقي على قضائه إلى أن مات سنة (١٤٢هـ / ٧٥٩م)؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢٩؛ نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٠٦.

(٥٤) الخشني: قضاة قرطبة، ط ٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩م، ص٤٧؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩.

- اشترطَ عبدُ الرحمن على يوسف الفهري أن يرهنَه ابنيه عبد الرحمن أبا زيد ومحمد أبو الأسود، على أن يحبسهما حبسًا جميلاً معه في قصر قرطبة حتى تهدأ الأمور، فإذا صلحت الأمور ردهم (٥٥)
- وأن يخلي عبد الرحمن بين يوسف الفهري وبين أمواله حيثما كانت وأن يسكن بلاط الحر منزلة بشرقي قرطبة، على أن يختلف كل يوم إلى ابن معاوية ويريه وجهه (٥٦)

وتم عقد الصلح بين الفريقين في صفر سنة (١٣٩هـ/ ٧٥٦م) (٥٧).

ويهمنا من بنود الصلح البند الخاص بالرهائن فالرهائن في هذه الحالة هم أبناء آخر ولاة الأندلس (يوسف الفهري) الذي أصبحُ هو نفسه رهينةً ولكن بصورةٍ مخففةٍ تحفظ بعض هيبته، وحرصَ الأمير عبد الرحمن بن معاوية أن يحبسَ أبناء يوسف الفهري في قصر قرطبة حبساً جميلاً، يليق بأبناء الأُمراء، ثم هدأتْ الأحوالُ ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحدِ رجاله وأبدي عبد الرحمن نحوهما عطفاً ولياناً، وهو مع ذلك يشدد عليهما الرقابة، وحرص على تجريدهما من كل سلطةٍ وقوةٍ (٥٨).

لم يلتزمْ يوسفُ بشروطِ الصلح مع عبد الرحمن، فهرب ناقضًا الصلحَ معه، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه مَنْ يُهينه وينازعه في أملاكه، فإذا أظهر حُجّته الشرعية لا يُعمل بها، ففطن لما يراد منه فقصد مدينة ماردة (٥٩) واجتمع إليه الناس وبلغ جَمْعُهُ عشرون ألفاً من البربر فلما رأي كثرة ما أجتمع له فتحرك من ماردة يريد

(٥٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٨؛ ابن خلدون، تاريخه،ج٤، ص ١٥٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.
(٥٦) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص ٣٤.
(٥٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.
(٥٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.
(٥٩) النويري: نهاية الأرب:ج٢٣، ص ١٩٨.

قتال الأمير عبد الرحمن وحاول تحريض الصميل للخروج معه لكنه رفض(٦٠) لعدم جدوي القتال وعندما علم عبد الرحمن بأمر يوسف الفهري أتهم الصميل بالتدبير مستبعدًا قيام يوسف الفهري بهذا العمل وحده، فسجن الصميل ومعه ابنا يوسف ثم أرسل عامل اشبيلية" عبد الملك بن عمر المرواني(٦١) إلى يوسف الفهري فوقع القتال بين يوسف الفهري وعبد الملك بن عمر المرواني فوقعت بينهما حرب شديدة فانهزم الفهري وتفرق أصحابه عنه وفرَّ بنفسه متخفيًا وسار لناحية طليطلة وفيها كانت نهايته سنة(١٤٢هـ/ ٧٥٩م)، وأرسلتْ رأسه إلى الأمير عبد الرحمن، فشكرَ اللهَ على موته، وأمر بقتل ابنه عبد الرحمن أبا زيد المرتهن لديه وأمر بنصب رأسه مع رأس أبيه يوسف الفهري على جسرِ قرطبة، واستصغر أبا الأسود فأمر بحبسه، وتوفي الصميل في الحبس(٦٢)، وقيل أنه قُتل خنقاً في سجنِ قرطبة بتدبيرٍ من الأمير عبد الرحمن(٦٣).

ويلاحظ أن يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس كان على درجةٍ كبيرةٍ من انعدام الوعي السياسي في مواجهة الأمير عبد الرحمن الذي تميَّز بالفطنةِ والذكاءِ، حيث لوح عبد الرحمن بأنه صاحب الشرعية في ملك الأندلسِ، في الوقت الذي كانت تلوح فيه ليوسف الفهري فرصةً ذهبيةً في ملك الأندلس له ولأبنائه لو أنه أرسلَ إلى الخليفةِ العباسي أبو جعفر المنصور

(٦٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٩ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.

(٦١) عبد الملك بن عمر المرواني: وفد على عبد الرحمن الداخل من المشرق عندما دخلت المسودة أرض مصر فخرج عبد الملك يؤم الأندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧هـ) وأصبح هو من خواص الأمير عبد الرحمن فعقد له على إشبيلية وولي ابنه عبد الله على مورور، وأخذ الأمير عبد الرحمن برأي عبد الملك في قطع الخطبة للخليفة العباسي المنصور بعد أن إستمرت عدة أشهر، وفي التخلص من أبي الصباح زعيم اليمنية بإشبيلية سنة(١٤٩هـ/٧٦٦م)؛ لمزيد من التفاصيل عن عبد الملك بن عمر ينظر: ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٥٦، ٥٧؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٢٩.

(٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٩ - ١٠١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.

(٦٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٢ ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٦٨ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٩ ؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ٤٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٩.

(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) معلناً تبعيته للخلافة العباسية، وأن يطلب منه أن يرسلَ له سجلاً بولاية الأندلس، ولكن عبد الرحمن الداخل نجح في إقامة دولته في الأندلس، وذلك بعد مرحلةٍ طويلةٍ من النزاع مع يوسف الفهري والصميل بن حاتم (٦٤).

معاملة الرهينتين:

من العرضِ السابق يتضح أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية أخذ أبناء يوسف الفهري رهائنَ عنده، واتفقت المصادرُ التاريخيةُ على ذلك (٦٥) وذلك على أن يحبسهما حبسًا جميلاً معه في قصر قرطبة حتى تهدأ الأمورُ، فإذا صلحتِ الأمورُ ردهم وذلك في شهر صفر سنة (١٣٩هـ/ ٧٥٦م) (٦٦)، وتم حبسهم في قصر الإمارة في قرطبة ولم يتم احتجازهم داخل السجون مع أصحاب الجرائمُ ذلك لعدة أسباب منها:

اتخاذ أبناء يوسف الفهري رهائن في قصر الإمارة كان أحد شروط الصلح بين الجانبين، ولأنهما أبناء يوسف الفهري والي الأندلس السابق، واحتراما لمنزلته ومكانته، و مرضاة له، وكذلك رغبة عبد الرحمن الداخل في بقاء الرهينتين أبناء يوسف الفهري تحت عينه وتحت إشرافه المباشر وذلك لأهميتهم السياسية وأيضا رغبة عبد الرحمن الداخل في عدم إعطاء الفرصة لمن

(٦٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨.
(٦٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٢٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٨؛ النويري: نهاية الأرب: ج٢٣، ص ١٩٨.
(٦٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٨ ؛ عبد الله عنان: دولة الإســـلام، ج١، ص ١٥٨.

يحاول القيام بمساعدة هؤلاء الرهائن على الهرب، ومن ثم يلتف حولهم أنصارُ أبيهم، من الفهريينَ وغيرهم ويقوموا بإغرائهِم، متخذينَ منهم زعامات ومن ثم تكون حروباً قبليةً جديدةً في الأندلسِ، فقصر الإمارة يتمتعُ بحراساتٍ قويةٍ، حيث توجد الحراسة الخاصة بالرهائن على الحجرةِ والحراسة بداخل وخارجِ قصر الإمارة.

وفي هذهِ الحالة: نجدُ أن إحدى حجراتِ القصرِ أصبحتْ سجناً وقد أصبحَ عرفاً لدي أمراءِ وخلفاءِ بني أمية تخصيص بعض حجرات القصر للرهائن والسجناء أصحاب المكانة السياسية(٦٧)، وحرص الأمير عبد الرحمن على تشديد الرقابة و تجريدهما من كل سلطة وقوة(٦٨) ومن المرجح أن ابني يوسف الفهري تلقيا معاملةً حسنة وذلك، رغم بغض عبد الرحمن الداخل لعبد الرحمن بن يوسف المُكنَّى بأبي زيد لاختطافه جواريه (٦٩) وأنه لم يقدم على قتله وذلك لرغبة عبد الرحمن الداخل في أن تستقيم له الأمور ويصفو له ملكه وأن أمر حبسهما موقوف على عدم خروج أبوهما يوسف الفهري، وأنه لما نقض أبوهما العهد ناكثاً للأيمان وهرب لطليطلة، فما كان من الأمير عبد الرحمن إلا أن تغيرت معاملته لأبناءِ يوسف الفهري، فأمرَ بسجنهم مع الصميل وقصدَ عبد الرحمن الداخل من سجنهم التلويح بورقةِ الرهائنِ، لتهديد أبوهما، وأن أبناءهْ معرّضين للخطر، وأمر الأميرُ عبد الرحمن الداخل بتتبع

(٦٧) فقد استخدم الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥– ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨م – ٩١٢م) بعض حجرات القصر المسماه بـ " دار البنيقة " في حبس ابنه محمد وأخاه القاسم ومن أشهر حالات الحبس داخل قصر الإمارة أو الخلافة حبس كليب بن عبد الرحمن بن معاوية في السجن داخل القصر ستا وعشرين سنة إلى أن قتله الأمير الحكم بن هشام سنة (١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، بالإضافة إلى حبس الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦- ٤٠٦هـ/ ٩٧٦- ١٠٠٩م) في القصر استمرار حبسه فترة طويلة حتى عام (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م) إلى أن دبر واضح مع الموالي لي العامرية الغدر بالمهدي وأخرجوا هشام المؤيد من محبسه بالقصر وأجلسوه للخلافة ؛ لمزيد من التفاصيل الهامة أنظر: شـيماء فرغلي سـيد على: الجريمة والعقوبة في الأندلس عصـري الإمارة والخلافة (١٣٨– ٤٢٢هـــ/ ٧٥٦ – ١٠٣١م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة٢٠١٠م، ص ١٩٦- ١٩٩.

(٦٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.

(٦٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١.

يوسف الفهري حتى قتل، ولما جيء برأس يوسف الفهري، أمر الأمير عبد الرحمن بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف المُكنَّى بأبي زيد (٧٠) ونصب رأسه مع رأس أبيه وذلك لكي يلقي الرعبَ في قلوبِ الخوارجِ والمخالفين(٧١).

وأقْدَم الأميرُ عبد الرحمن الداخل على قتلِ عبد الرحمنِ بن يوسف المُكنَّى بأبي زيد بعد مقتل أبيهِ وذلك حتى لا يعجل بخسارةِ ورقةٍ رابحةٍ من الممكن أن يتم استخدامها في المفاوضاتِ مع يوسف الفهري إذا دعت الضرورةُ لذلك وخصوصاً أن يوسف الفهري له العديدُ من الأنصارِ والمؤيدين في الأندلسِ.

وفي هذا الموضع ثمة سؤال سمة سؤال يتبادر إلى الذهن وهو لماذا أقدمَ الأميرُ عبد الرحمن الداخل على قتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري ولم يقتلْ أخاه أبا الأسود الرهينة الثاني؟ حيث أمر به وزجه في السجن(٧٢) يقدم لنا صاحب الأخبار المجموعة سببين لذلك، أولهما أن عبد الرحمن بن يوسف الفهري الرهينة القتيل، كان عبد الرحمن الداخل غاضباً عليه لما صنع بعياله، وذلك عندما هاجم قرطبة فحصر عثمان عبيد الله بن عثمان في صومعة المسجد الجامع فاستنزله بعهد ألا يقتله فكبله وأنطلق به فأصاب جاريتي ابن معاوية وهربت الثالثة، وسار بالجاريتين فعايره أصحاب العقول مِن أنصاره قائلين له " صنعت ما لم تسبق إليه ظفر بأخواتك وأمهاتك فستر عورتهن، وكسا عريهن، وظفرت بخادمتين فأخذتهما، فتبدا له سوء رأية، فأمر بخباء فضرب في قلعة تدمين بجنوب قرطبة على بعد ميل(٧٣) من المدينة، ثم أنزل

(٧٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٥٠.
(٧١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥١ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.
(٧٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٩.
(٧٣) الميل: هو مسافة مد البصر، وسميت الأعلام التي توضع في الطريق أميالاً، لأنها توضع على مقادير مد البصر، وقال بن منظور " الميل من الأرض: قدر منتهي البصر والجمع أميال وميول"، وهو في الشريعة يعادل ألف باع، والباع أربعة أذرع

فيه الجاريتين، وما كان معه من متاعهن، ومضى بأبي عثمان مكبلاً (٧٤) فعندما علم الأمير عبد الرحمن بما صنع أبو زيد بعياله وما صنع بالجاريتين فعزفت نفسُ الأميرِ عبد الرحمن عنهما فأعطى إحداهما مولاه عبد الحميد بن غانم وأسمها كلثم وأعطي الأخرى لغيره، ومن هنا أصبح الأميرُ عبد الرحمن الداخلِ حانقاً عليه وأمرَ بقتلهِ عندما ظفرَ به(٧٥)، ونجد أن ابن يوسف الفهري عبد الرحمن أبا زيد تراجع عن أخذ جواري الأمير عبد الرحمن كرهائن ليستخدمهم للضغط عليه أثناء التفاوض، وذلك عندما ذكرَ بحرص الأمير عبد الرحمن على ستر بنات وزوجات و جواري وأهل يوسف الفهري.

السببُ الثاني: أنه " استصغر أبا الأسودِ فقامَ بحسبهِ"(٧٦).

معاملة محمد أبي الأسود:

أمرَ الأميرُ عبد الرحمن الداخل بمحمد أبي الأسود وزجَّ به في السجنِ، أي أنهُ أخرجه من محبسه في قصر الإمارة و سجنه في سجنِ قرطبة(٧٧) وذلك لأن يديه لم تقترف ما اقترف أبوه وأخوه، ولصغر سنه، و أنه ظل في سجنِ عبدِ الرحمن بقرطبة منذ هروب أبيه على نحو ما تقدم،

شـــرعية،، الميل = ١٠٠٠ باع، والباع = ٤ أذرع شـــرعية، والذراع = ٤٦,٢ ســـنتيمترا؛ فالميل = ١٠٠٠×٤× ٤٦,٢= ١٨٤٨٠٠، فالميل يساوي ١٨٤٨ مترا ؛ محمد صبحي: الإيضاحات العصرية للمقايس والمكاييل، ص٧١.

(٧٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٠، ٥١.

(٧٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١.

(٧٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨، ٩٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.

(٧٧) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٥١ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.

ونستدل أنَّ محمداً أبا الأسود قد تلقي نفسَ المعاملةِ التي يتلقاها المساجين في الأندلس(٧٨) في هذه الفترة، والسجن الذي سجنُ فيه محمد الأسود كان من ضمن السجون الجماعية التي تتسع لأعدادٍ كبيرةٍ من السجناءِ ولم يتمْ فصل محمد الأسود عن غيره من السجناء وقد يكون ذلك استخفافاً بأمره.

وأما بالنسبةِ للأوضاعِ المعيشيةِ للسجناءِ فقدْ اتسمتْ بالإهمالِ الشديدِ، حيث لم يوجد زي خاصٌ للسجناء، وكانت ملابسهم تتعرضُ للبلي والتلف، وأن السجناء لم يكن يصرف لهم طعامٌ داخل السجون، وكانوا كثيراً ما يستقبلون طعاماً يرسل لهم من أقاربهم، أو ترسلُ إليهم الأطعمةُ التي تفتقد للمعايير الصحية، أو التي يتم مصادرتها، بالإضافةِ إلى ظلامِ السجونِ وقذارتها وضيقِ مساحتهاِ مع كثرةِ المساجينِ (٧٩)

والسجن الذي وجد به محمد الأسود كان به سردابٌ يفضي إلى النهرِ يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره وتكون عليهم حراسة (٨٠)، وأن دور محمد أبي الأسود لم ينته كرهينةٍ عند الأمير عبد الرحمن الداخل بعد أن تخلص من أبيهِ وأخيه، وقضي نهائيا على ثورة يوسف الفهري وذلك لخوفهٍ من التفاف الفهريين حوله، فأمر الأميرُ عبد الرحمن الداخل

(٧٨) وجدت السجون في أماكن مختلفة من الأندلس ولم تقتصر السجون على المدن الكبيرة كقرطبة حيث وجدت السجون في الشرق كجيان وطرطوشة وسرقسطة ومنها ما وجد في الجنوب في مدينة إشبيلية ومالقة والجزيرة أو في الشمال كتطلية أوفي الوسط كمدينة طليطلة، وكذلك وجدت السجون في الحصون مثل التي وجدت في حصن مالقة ووبدة وأيضا وجدت سجون في القلاع أو الأبراج وكان يوجد في كل مدينة من مدن الأندلس سجن عام ينسب إليها مثل سجن شاطبة وسجن طرطوشة وسجن غرناطة وقد يكون في المدينة الواحدة أكثر من سجن، حيث تعددت أنواع السجون في الأندلس فمنها ما كان يوجد تحت الأرض أو فوقها، أو في أماكن مرتفعة مثل الأبراج، ويندرج سجن المطبق ضمن السجون التي توجد تحت الأرض ولقد أرتبط سجن المطبق بحاضرة الدولة فقط وأوامر الحبس فيه تكون صادرة من قبل السلطة السياسية، وأن معظم من سجن بالمطبق كان السبب في سجنهم يرجع إلى عوامل سياسية أو دينية، فسجن المطبق هو سجن تحت الأرض وهو خصص في الغالب للسجناء السياسيين فقد كانت الدولة تقيمه بالقرب من إقامة الأمير أو الخليفة لضمان إحكام القبضة على السجناء ومنعهم من الهرب ويدل على ذلك أن سجن المطبق بقرطبة كان يوجد في جوف خندق أسفل قصر الخلافة وكان إنشاؤه بهذا الشكل منتشرا في القصور الأندلسية لتكون قريبة من الحاكم فهناك مطبق الزهراء في قرطبة ومطبق الزاهرة ؛ شيماء فرغلي: الجريمة والعقوبة، ص ١٩١– ٢١٦.

(٧٩) شيماء فرغلي: الجريمة والعقوبة، ص ٢٠٧– ٢١٠.

(٨٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠ .

بسجنه، ولكنه لم يخش شيئاً من جانبه، فلم يجعل له حراسةً خاصةً أو عيناً تراقب تحركاته وترصد تصرفاته، بل أخرجه من محبسه في القصر إلى السجنِ. وكان هذا خطأً وقع فيه الأمير عبد الرحمن وذلك لأنهُ لم يشددْ عليه الحراسة، وأن أبا الأسود محمد بن يوسف الفهري استطاع أن يفرّ من سجنه ويقصد طليطلة معقل عصبة أبيه ويتحصن بها، فبعث عبد الرحمن الداخل في أثرِهِ جيشً بقيادة تمام بن علقمة فحاصرها حتى استسلمت له، وقبض على أبي الأسود محمد، وجيء به إلى قرطبة (٨١).

الرهينةُ الثائرُ (محمد أبو الأسود بن يوسف الفهري)

ولقدْ تمَ حبسُ أبو الأسود حيثُ ادعي العمى، وزعم أن الماء نزل بعينيهِ فصار يحاكي العميان، ولا يطرف عينه لشيء حتى جازت حيلته، واشتبهت حركاته بحركات العميان، ووقع الإشفاقُ عليه والرثاية له، وهوّن من حبسه، حتى كان يقعد عنه الموكّل به اختباراً لهدايته، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته، فيبقي حائراً ينادي: " من يقود الأعمى إلى محبسه وبقي دهراً طويلاً على حيلتهِ حتى صحَّ عند الأمير عبد الرحمن الأموي ذلك (٨٢).

كان في أقصي السجن سرداب يفضي إلى النهر الأعظم يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسيل وغيره، وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه فإذا رجع من النهر يقول من يقود الأعمى يرحمه الله على موضعه، وكان يختلف لمحمد أبي الأسود مولي له اسمه مفرج

(٨١) حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٢٤، ٢٥.
(٨٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠ .

يقضي حوائجه ويلقاه على النهر تحت القنطرة، فلما اطمئن إليه، ولم يستنكر خروجه، وشاع عليه العمى، قال لمفرج مولاه: " ابتع لي فرسا أنجِ عليه "، وفي ذات يوم عندما اقتيد المسجونون إلى النهر كان المولي مفرج واقفا مع بعض أصحابه بخيولهم على الشاطئ الآخر للوادي، فاستغل أبو الأسود فرصة انزواء العيون عنه فوثب في النهر فعبره سباحة وركب الخيل ولحق بطليطلة ودعا لنفسه(٨٣)، واستمال الناسَ بموضعه، فاجتمع له خلق كثير وسار في جيش بحفل(٨٤) حتى حلَّ بأحواز جيّان وكانت ثورته سنة (١٦٨ هـ/٧٨٤م).

فخرج إليه عبد الرحمن بن معاوية في جيوشه، فلاقاه مرة بعد مرة، يهزمه في كل منها ويقتل له الجمع الكبير، فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن الأموي فالتقيا على الوادي الأحمر(٨٥) بقسطلونة(٨٦)، على مخاضة الفتح، وكانت حرب شديدة، مكر عبد الرحمن فيها بأبي الأسود، فراسل صاحب ميمنته واتفق معه على جر الهزيمة من جهته، ففعل فانهزم محمد أبو الأسود، وقتل عامة رجاله، فلم تقم له بعد ذلك قائمة (٨٧)، وكانت هذه الوقيعة بمخاضة الفتح، يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م)، وقتل لأبي الأسود فيها أربعةُ آلاف من أصحابه، سوي من تردي في النهر، ووقع في المهاوي، وتلف في الشعاب. وبلغ في هزيمته إلى قسطلونة على الوادي الأحمر واتبعه الأمير عبد الرحمن يقتل من لحقَ به حتى جاوزَ قلعة

(٨٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٣٥١ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٦٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٩٠؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٣٣ .

(٨٤) جيش جحفل: الجَحْفَل الجيش الكثير ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خَيْل، ويكون عدده ٤٠٠٠جندي ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص ١٠٢؛ إبراهيم القلا: تاريخ مصر الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٦٤.

(٨٥) الوادي الأحمر: هو نهر صغير من أنهار الوادي الكبير ينبع من جبل شقورة ؛ سامية مسعد: التكوين العنصري للشعب الأندلسي، هامش ص ٣٥.

(٨٦) قسطلونة (Castallon): مدينة قديمة بالأندلس بالقرب من مدينة بسطة التي هي من أعمال جيان؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٢٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٥٣.

(٨٧) وذكر أنه تمثل يوم قسطلونة قائلا: وموقف مثل حد السيف قمت به... أحمي الذمار وترميني به الحدق ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ص ٣٥٢ ؛ البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٩٣.

رباح[٨٨]، ثم جمع جموعه لقتال الأمير عبد الرحمن في سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، فلما أحسن بمقدمة الأموي انهزم أصحابه وهو معهم فأخذ عياله وقتلُ أكثر رجاله، وقيل إن عبد الرحمن غزاه في سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م)، فلما أحس به فرّ عن قورية [٨٩] وانقطعَ وحده وانحازَ إلى غياض أشبة[٩٠]، ثم صار إلى ركانة[٩١] من طليطلة وبقي إلى أن توفي سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م)[٩٢]، ونجد أن أبا الأسود أصبح حريصاً على التخفي في منطقة ملتفة الشجر متشابكة، يصعب على جيوش الإمارة الأموية تتبعه فيها، ثم انتقل إلى مدينة ركانة حتى وفاته، وقد خلف أبا الأسود أخوه القاسم بن يوسف في جميع أموره، فتزوج من أرملة أخيه وتولي ما كان يتولاه[٩٣] وجمع جمعاً فغزاه الأمير عبد الرحمن الداخل، فما أن اقترب عبد الرحمن الداخل من طليطلة حتى خرج القاسم مسلماً نفسه بعد أن أخذ المواثيق من الأمير

(٨٨) قلعة رباح: مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر آنه، وهي مدينة محدثة في أيام بني أميَّة، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط؛ وفي سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) أمر الإمام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها، ونقل الناس إليها وإلي مدينة طلبيرة، ثم ملكها النصارى ولم تزل في أيديهم إلى عام وقيعة الأرك فجلت قبل الوصول إليها وكان لها في أيديهم إحدى وخمسون سنة وعشرة أشهر فأمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بتطهير جامعها، وصلي فيه، وقدم على قيادتها يوسف بن قادس؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٩٦.

(٨٩) مدينة قورية: بالضم ثم السكون والراء مكسورة وياء خفيفة مدينة من نواحي ماردة بالأندلس، وهي مدينة قديمة عرفت قبل الفتح الإسلامي بإسم Caurium، وهي من فتوح موسي بن نصير، وكانت دائما معقلا للثوار والخارجين على البيت الأموي في الأندلس، وقد استولى عليها أردون الأول ملك ليون (٢٤٦هـ/٨٦٠ م) ولكن المسلمين لم يلبثوا أن استردوها ومهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إقليمها وأخلاه من الثوار وتابعه في ذلك المنصور محمد بن أبي عامر ؛ وفي عصر الطوائف صارت قورية من توابع إمارة بني الأفطس إلى أن استولى عليها ألفونسو السادس قبل استيلائه على طليطلة، ولكن المرابطين عادوا واستردوها؛ وفي أيام الموحدين أصبحت معقلا إسلاميا ونقطة دفاع من جديد، ولم تسقط إلا حوالي عام (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) في يد ألفونسو الثامن ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص٤١٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، هامش ص٣٦.

(٩٠) غياض أشبة: غياض مفردها (الغيضة) هي المنطقة التي يكثر بها الشجر الملتف، أشبه هو شدة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه ؛ الفيومي: المصباح المنير، ص ١٧٥؛ الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ج١، ص ٢٨؛ المعجم الوسيط، ص ٦٦٨.

(٩١) ركانة: مدينة من عمل بلنسية بالأندلس وتقع غربها ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص٦٣.

(٩٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٥١ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٣٣.

(٩٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨، ٩٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨ ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء،ج٢، ص ٣٥٣ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠.

عبد الرحمن الذي اصطحبه معه إلى قرطبة التي توفي بها [٩٤] وينفرد أحد المصادر بأن القاسم قاتل عبد الرحمن الداخل فقتله عندما ظفر به الأمير عبد الرحمن[٩٥].

ثورة هشام بن عذره الفهري في مدينة طليطلة

وفي سنةِ (١٤٤هـ/ ٨٥٨م) ثارَ هشام بن عذرة الفهري وهو من بني عمِّ يوسف بن عبد الرحمن الفهري[٩٦]، وحيوة بن الوليد التيجيبي وحمزة بن عبد الله بن عمر من ولد عمر بن الخطاب ، في مدينة طليطلة، وخصوصاً أن مدينة طليطلة كانت موطناً للفهريين أتباع يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فقد قاموا بالثورة بقيادة هشام بن عذرة الفهري ضد الحكومةِ المركزيةِ انتقاماً لمقتل يوسف الفهري، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة فحاصره فيها ولما أرهقته الحرب، وناله الحصار دعا إلى الصلح وأعطي ولده أفلح رهينة، ومن المرجح أن الأميرَ الأموي عبد الرحمن قد طلبَ ابن هشام رهينةً لديه بعد أن وافق على إبقاء هشام على طليطلة مواليا له ورجع عنه الأمير[٩٧].

وأنَّ الأمير عبد الرحمن الداخل سجن أفلح الرهينة في إحدى حجرات قصره وذلك لأنه يمثل رهينة قيمة لديه وورقة ضغط على ثائر لديه العديد من الأنصار، بالإضافة إلى رغبة عبد

(٩٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص١١.
(٩٥) تقي الدين المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت١٩٩١م، ج٤، ص ١٠٨.
(٩٦) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣ ص ١٩٩.
(٩٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٨ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٦١.

الرحمن من تشديد المراقبة على هذا الثائر في قصره وذلك لأهمية مدينة طليطلة وحتي يضمن عدم خروج هشام بن عذره الفهري مرة أخرى، ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه الأمير عبد الرحمن الداخل، حيث عاد هشام بن عذره الفهري للثورة مرة أخرى و خلع الأمير عبد الرحمن الداخل وعاد إلى نفاقه، ونكثَّ الصلح فغضب الأمير عبد الرحمن فغزاه في السنةِ الثانيةِ (١٤٥هـ/٧٦٢م) وسار بجيشٍ لحصار مدينة طليطلة، وأصطحب معه أفلح بن هشام الرهينة، فنزل به وحاربه، ودعاه إلى الرجوع وصبر عليه، ولشدةِ غضب الأمير الأموي من طليطلة وإيوائها للخارجين عليه فإنه نصب المنجنيق عليها(٩٨) فلما يئس منه أمر بابنه الرهينة فضُربِت عنقه ثم جعل الرأس في المنجنيق ورمي به إليه في المدينة، ورجع عنه ذلك العام، وبقتل عبد الرحمن الداخل للرهينة ورمي رأسه بالمنجنيق(٩٩) يكون قد استنفذ كل وسائله للحصول على المدينة.

واستخدام الأمير عبد الرحمن الداخل للمنجنيق ضدَ الثائرين لم يفد لحصانة مدينة طليطلة ومناعتها، مما دفع بعبد الرحمن الداخل بعد طول الحصار إلى قذفِ رأس الرهينة أفلح بعد فصله عن جسده إلى داخل طليطلة، وانسحب الأمير عبد الرحمن عن المدينة لأنه لم يجد هناك شيء مؤثراً بعد قتل الرهينة الذي بيده، وخاصةً بعد خروجِ العلاء بن مغيث اليحصبي

(٩٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٤٠.
(٩٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٩.

بباجة[١٠٠] ودعوته للدولةِ العباسية بالأندلس[١٠١]، ولكن الأمير عبد الرحمن الداخل استعدَ للقضاءِ على ثورة طليطلة بعد انتهائه من ثورةِ العلاء اليحصبي، وخصوصاً أن الثورةَ التي يثير ضرامها هشام الفهري في طليطلة، قد استفحلت واتسع نطاقُها، فأرسلَ عبد الرحمن الداخل قائديهِ بدر وتمام بن علقمة بجيشٍ كثيفٍ إلى طليطلة في سنة (١٤٧ هـ/ ٧٦٤م)[١٠٢].

وكان الإصرارُ على إسقاطِ هذا الثائر وإعادةِ طليطلة لتبعية الإمارة سبباً في تتابع الإمداداتِ والمساعداتِ لإحكام حصار المدينة كل ستةِ أشهرٍ، وهذا يدلُ على طولِ فترةِ الحصار التي قد تزيدُ على سنةٍ، فنجحوا في تطويق المدينةِ وشددوا الحصار عليها، حتى ضاق أهلُها ذرعاً، فاضطروا إلى طلبِ الصلحِ، فكاتبوا بدراً وتماماً وسألوهما الأمانَ على أن يسلموا لهما ابن عروة وهشام بن حمزة بن عبيد الله وحيوة بن الوليد[١٠٣]، فأصبح أمان أهل مدينة طليطلة أصبح مرهوناً بتسليم الزعماء الثائرينَ، فسلم أهل مدينة طليطلة الزعماء الثائرين إلى بدر وتمام الذين أتو بهم إلى عبد الرحمن بن معاوية، فتم حلقُ رءوسهم ولحاهم وألبسوهم جباب الصوف،

(١٠٠) مدينة باجة: (Beja) تقع في أقصي الجنوب الغربي من الأندلس غربي قرطبة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر، فحمل الأمير عبد الرحمن بن معاوية لواءهم وأسقط جندهم، وكان سبب ذلك أن العلاء بن مغيث اليحصبي كان رأس جند باجة فثار بها وقام بدعوة بني العباس ولبس السواد، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح وهي مدينة مشهورة بدباغة الجلد وصبغ الكتان وبوجود معدن الفضة، وتسمي هذه المدينة بباجة الأندلس تميزا لها عن باجة إفريقية التي تسمي بباجة القمح، ونسب لمدينة باجة الكثير من العلماء منهم الفقيه والإمام والقاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف و من أعلام أبنائها أيضا، فيلسوف من أعظم فلاسفة الإسلام وعلمائه، هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة، وسقطت مدينة باجة في يد النصارى سنة (٥٥٦هـ-١١٦١م) ؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣١٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٧٥ ؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج٢، ص٩٤.

(١٠١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان ١٩٦٢م، ص ١٩٧. ابراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية،بيروت ١٩٧٨م، ص ١٨٥.

(١٠٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٤٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٣.

(١٠٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٥، ٩٦ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٤٠.

وأدخلوهم في السلال، حملوهم على الحمير، فأتى بهم على تلك الحال إلى خُشُب قد أُعدت لهم، فصلبوا فيها بقرطبة، وكُتب إلى البلدان بفتح طليطلة(١٠٤).

والذي دفع أهالي طليطلة لتسليمهم الثائرين إضافة إلى نتائج الحصار الذي ترتب عليه قطع الأقوات والمؤن إلى داخل المدينة هو خوفهم من انتقام الأمير عبد الرحمن الداخل الذي قام بقتل أفلح بن هشام دون أن يبالي بشيء، وانتهت ثورة هشام بن عروة الفهري سنة (١٤٧هـ/٧٦٤م)(١٠٥) ولولا تخلي أهالي طليطلة عن هشام لدامت ثورته إلى مدة طويلة، وبقي تمام بن علقمة يدير أمر طليطلة إلى أن استدعاه الأمير عبد الرحمن الداخل وعينه في الحجابة لديه(١٠٦) وأقام على طليطلة حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان(١٠٧) في عام (١٥١هـ/ ٧٦٨م)(١٠٨).

(١٠٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٣ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٥٣ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٤٠.

(١٠٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣ ص ٣٤٠ ؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٧٧.

(١٠٦) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص ٩، ١٠.

(١٠٧) حبيب بن عبد الملك: حبيب بن عبد الملك المرواني من نسل الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهو من صدور الداخلين الأندلس المتميزين بالمعرفة والدهاء والشجاعة والأدب وقول الشعر دخل قبل عبد الرحمن الداخل، ولي طليطلة وأعمالها في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨هـ - ١٧٢م/٧٥٦- ٧٨٨م)، وكان ممن يشاورهم الأمير عبد الرحمن الداخل في رأيه، ويدني مجالسهم، كما ضمه إلى خاصته ضمن نقباء دولته، وكان له عنده مكانة ومات قبل عبد الرحمن عن أحد عشر ذكرا وفشا نسله، ولما توفي حبيب بن عبد الملك جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب ؛ لمزيد من التفاصيل القيمة عن حبيب بن عبد الملك. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٥٩، ٦٠ ؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص ١٠؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٥٥.

(١٠٨) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٤٣، ٣٤٤.

زعماءُ الثغورِ رهائنٌ في قرطبة

شكلت مسألة الثغور إحدى العقبات الكبري أمام إمارة قرطبة، التي كان من المفترض أن تكونَ خط الدفاع الأولِ عن الأمة، وبدلاً من ذلك كانت حدودُ الأندلس خليطاً مشوشاً من التناقضات، وافتقرت تلك المنطقة إلى التجانسِ الضروري الذي يجعل منها منطقة حدودٍ، وصارت حدوداً ضد قرطبة(١٠٩)، ولم يتمكن عبد الرحمن الداخل من الرد على اعتداءاتِ النصارى إلا في سنةِ(١٥٠هـ/٧٦٨م) وهذه السنة شهدت أول لقاء عسكري بين عبد الرحمن الداخل ونصارى الشمال، إذ وجه حملةً بقيادةِ مولاهُ بدر إلى ألبة(Alava) شرقي ليون وحارب أهلها وانتصر عليهم وأخذ منهم الجزيةَ دونَ إعطاء أي تفاصيل أخرى(١١٠)، وخلالَ رحلةِ العودةِ جلب بدر معه إلى قرطبة كل من شك في إخلاصه وولائه من زعماءِ الثغور منهم سليمان الأعرابي(١١١) الذي سوف يلعب دوراً رئيساً في سيرِ الحوادثِ التاريخية لاحقًا.

وهذا العملُ مِنْ قبل بدر يدلُ دلالةً واضحةً على بعد نظره، وأنه له دوراً واضحاً وفعالاً في قيامِ الدولة الأموية في الأندلسِ والمحافظة عليها، فباتخاذه زعماء الثغور المشكوك في ولائهم رهائن إلى قرطبة يحققُ بعضَ الأهداف منها استقرار الأمن في تلك المناطق، ويعمل على حرمانِ

(١٠٩) ديونسيسيوس أجيوس: التاثير العربي في أوربا، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للبحوث والدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٢٣- ١٢٥.
(١١٠)ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٥٤؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص٨٧.
(١١١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٤.

النصارى والإفرنج من العناصر التي سوف تقدم العون لهم ضد الإمارةِ الأموية، وهو بذلك يركز جهود الأمير عبد الرحمن الداخل في القضاءِ على الثوراتِ الداخليةِ، حتى يتفرغَ لأعدائه الخارجيين، نكتشف من سير الحوادث التاريخيةِ أن الرقابة على هؤلاءِ الزعماء كانت ضعيفة بدليل هروب سليمان الأعرابي، ونستدلُ كذلك أن هؤلاء الزعماء كانوا غير محتجزين في السجون، فمن الممكن أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان يعمل على استمالتهم وأعطاهم بعضَ الامتيازات التي تكون في حدودِ عاصمة ملكه قرطبة حتى يكونوا تحت عينيه.

عبد الرحمن الداخل والتمردُ في مدينة سرقسطة:

كان لموقعِ مدينة سِرقسطة تأثيرٌ سلبي على المدينةِ، حيث مجاورتها للإمارات النصرانية فرض عليها أن تكون قاعدة للجهاد، ولذلك حرص الأمير عبد الرحمن الداخل على تفقد أحوالها وخصوصاً أن بعدها عن حكومة قرطبة أدي إلى ظهورِ حركات التمرد والعصيان، حيث خرجَ بدر موالي عبد الرحمن الداخل في سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) إلى منطقة الثغر الأعلى ليتفقد أحوالها، وقامَ بأخذِ كل من اشتبه بولائه لحكومة قرطبة منهم سليمان الأعرابي، حيث تمَ نقلهِ إلى قرطبة وفرضت عليه الإقامة فيها، وبعد أن قضي الأمير عبد الرحمن الداخل

على ثورة اليمنية بزعامة حيوة بن ملامس(١١٢) في إشبيلية وقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً(١١٣) وبعد هذه المأساة التي حلت باليمانية حرض الشاعر المشهر بن هلال القضاعي سليمان الأعرابي ودعاه إلى أخذ ثار اليمنية، فخرجَ الأعرابي من قرطبة وسار إلى سرقسطة متمرداً(١١٤) ففي سنة (١٥٧ هـ/٧٧٤ م) أعلنَ سليمان بن يقظان الكلبي المعروف بالأعرابي والي برشلونة(١١٥) وجيرونة(١١٦) عصيانه على الأميرِ عبد الرحمن الداخل بمساعدة الحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطة وتحالفا على قتال عبد الرحمن الداخل وخلعه وذلك

(١١٢) حيوة بن ملامس: حيوة بن ملامس الحضرمي كان من أشراف إشبيلية ورؤسائها وكانت له منزلة لطيفة عند عبد الرحمن بن معاوية، لأول مقدمه، وينقل إلينا ابن الأبار بيتين ينسب قولهما إلى عبد الرحمن في امتداح حيوة وجوده ووفائه قائلا: فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها... إذا غاب عنها حيوة بن ملامس

أخو السيف، قاري الضيف، حقا يراهما... عليه، ونافي الضيم عن كل بائس

لكنه غدا بعد من ألد خصومه ومنافسيه؛ القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ٢٣٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٣٥، ٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص١٦١،١٦٠هامش ص ١٦٦؛ السامرائي وآخرون: ص ١١٥، ١١٦.

(١١٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٣.

(١١٤) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، هامش ص ٢٥.

(١١٥) برشلونة: (Barshaluna) مدينة أندلسية قديمة البناء، تقع على البحر المتوسط ولها ميناء تدخل إليه السفن ولها سوق وربض وأكثر سكانها من اليهود، وهي عاصمة إقليم (قطالونيا catalonia) وتقع في الشمال الشرقي من إسبانيا، استولى عليها موسي بن نصير سنة (٩٤ هـ/٧١٣م) سقطت بيد الفرنجة عام (١٨٥هـ/٨٠١م)؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣٠٩؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٠، الحميري: الروض المعطار، ص٨٦، ٨٧ ؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣.

(١١٦) جيرونة أو جرنده: (Gerunde) إحدى مدن الشمال الأندلسي، وهي منطقة تقع في جنوب غرب فرانسا، شمالي برشلونة وهي من مقاطعات كتلونية، ويقال لها جيرونة، واسمها الروماني القديم جيرنده (Gerunda)، وكان إسمها هذا هو المستعمل يوم فتحها العربُ، وسكنها العرب طويلا، ولم يسكنوا جيروندة التي عاصمتها بوردو ولا عرفوها إلا في الغزوات عابري سبيل، و خرجت جرنده من أيدي المسلمين نهائيا ستة (١٨٤هـ/٨٠٠م) ابن = = خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ص ٩٠؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦م، ج٢، ص ٢٠٤.

لتحقيق مآربهما وأطماعهما في الحكم(١١٧)، وخصوصاً أن عبد الرحمن كان منشغلاً بقمع فتنة شقيا البربري(١١٨) في الجنوب(١١٩) .

وأرسلَ إليهم الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي(١٢٠) فانهزمَ هذا الجيش ونجحَ سليمان في تبديدِ شمله وأسر قائده وزاد هذا النصر في حماسة الثوار في الشمال وأذكي روح العناد في نفوسهم وأطمعهم في مناوأة حكومة قرطبة(١٢١) ولكن سليمان الأعرابي وحليفه الحسين بن يحيى والي سرقسطة لم يركنا إلى هذا النصر المؤقت وذلك لما يعلمانه من عزمِ عبد الرحمن الداخل وقوة بأسه، وروح الانتقام لديه، وأنه سوف يعد العدة للانتقام لهذا فكرا في الاستعانة بملك الإفرنج حيث كان على اتصالٍ قديمٍ مع دولة الفرنجة، وقد استدعى سليمان الأعرابي شارلمان(١٢٢) ملك فرنسا لغزو الأندلس

(١١٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٥ ؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص ٤٨ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٦٨ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٨.

(١١٨) شقيا البربري: شقيا بن عبد الواحد من قبيلة مكناسة البربرية، قام بثورة في شمال شرق الأندلس في سنة (١٥١هـ/ ٧٦٨م) حيث كان يعمل معلما للصبيان، وكانت أمه تسمي فاطمة، فأدعي أنه فاطمي من سلالة النبي ﷺ وتسمي بعبد الله بن محمد ودعا الناس إلى اعتناق دعوته لكي يخلصهم من حكم الأمويين في الأندلس، وألتف حوله الكثير من البربر في شنتبرية وعظم أمره، فسار إليه الأمير عبد الرحمن بن معاوية على رأس جيش كثيف فلم يستطيع قتاله أو الإيقاع به، وذلك لإتباع شقيا خطة عسكرية محكمة، فهو يعمد للهروب إذا أدركه خطر ما، ولم يقدم على مواجهة الجيش الأموي، لذلك استمرت ثورته قرابة العشر سنوات؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٦٠٥ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص ٥٤، ٥٥ ؛ النويري: نهاية الأرب،ج٢٢، ص ١٦٢،١٦٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام،ج١، ص ١٦٤– ١٦٦؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ١٨ – ٢٢.

(١١٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٤، ٥٥.

(١٢٠) ثعلبة بن عبيد الجذامي: شارك عبد الرحمن الداخل في معركة المصارة، وهو الذي دعا عبد الرحمن الداخل من الاحتراس من اليمانية لما بيتوه له من الغدر، وبعد أن استقر الأمر لعبد الرحمن الداخل ولاه سرقسطة زمنا ثم إستوزره وقربه. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢ ؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧.

(١٢١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٤٦ ؛محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية،الإسكندرية ١٩٨١، ص١٣٨.

(١٢٢) شارلمان: ولد شارلمان حسب رواية إينهارد حوالي عام (١٢٦هـ / ٧٤٣م) وقام الملك بيبين القصير فبيل وفاته عام (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) بتقسيم المملكة الفرنجية بين ولديه شارلمان وكارلمان، و مات كارلمان عام (١٥٥هـ/٧٧١م) فقام شارلمان بضم أملاكه إليه وانفرد بحكم المملكة الإفرنجية كلها، و اتصف شارلمان بطول القامة وقوة البنية، تم تتويجه إمبراطورا رومانيا على يد البابا ليو الثالث LeoIII (١٧٩- ٢٠٢هـ/ ٧٩٥- ٨١٧م) سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) ؛ إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩م، ص١٣؛ عفاف سيد صبره: الإمبراطورية الرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٢م، ص٤٧.

ووعده بتسليم الولايات الشمالية ولاسيما سرقسطة وتسليم الأسير ثعلبة بن عبيد لكي يكون رهينة عنده(١٢٣) فإننا نجد أن حركة الأعرابي والأنصاري في سرقسطة وطلبهما مساعدة شارلمان سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) تنسجم مع مصالح الطرفين: فالأعرابي والأنصاري يرغبان في القضاءِ على الداخل وإمارته ويرغبان بالتالي في ولاية الأندلس، في حين كان شارلمان يطمعُ في الاستيلاءِ على الأندلسِ أيضاً وضمّها للإمبراطورية الكارولنجية(١٢٤).

ونجد أن الحسين بن يحيى انشق عن حلفائه وسيطر على مدينة سرقسطة وتحصن بها فالحسين نقم على سليمان موقف الصدارة والزعامة الذي اتشح به إزاء الفرنجة، فنشبت بينهما الخصومة، أو أنه خشي عاقبة التورط في تحالف مع الإفرنج. فعدل موقفه في آخر لحظة حينما شعر بمسير الفرنج إلى مدينته (١٢٥) وانتهى الأمرُ برجوع شارلمان ملك فرنسة بعد فشله في السيطرة على سرقسطة ولم يجد أمامه سوي سليمان الأعرابي فأخذه أسيراً معه (١٢٦)

دبَّ الخلافُ بين زعيمي الثورة في سرقسطة، على آثر نكبة جيش الفرنجة في موقعة باب الشرزي، ويذكر العذري: أن الحسين بن يحيى الأنصاري خوطب من قرطبة يؤمر باغتيال سليمان بن يقظان(١٢٧) فدس عليه ذات يوم من قتله بالمسجد الجامع وأنفرد بالأمر في سرقسطة وما حولها، ومن المحتمل أنه خلعَ طاعة الأمير عبد الرحمن الداخل الذي تأهب سنة (١٦٥ هـ/٧٨١م) لقمع ثورته فسار إلى سرقسطة في جيشٍ ضخمٍ، وانظم إليه عيشون بن سليمان الذي فرَّ إلى أربونة بعد مقتل أبيه بمن معه في مقاتلة الحسين الذي طلب الصلح

(١٢٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦٤ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤ ؛عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٦٩- ١٧٤ ؛ محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص١٣٨.
(١٢٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٧٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٩.
(١٢٥) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٤٦ ؛ خليل السامرائي: تاريخ العرب، ص ١٣٠.
(١٢٦) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢١٣.
(١٢٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٦.

عندما اشتدَّ الحصارِ عليه، وقدم ابنه سعيد رهينة، فأجابه الأمير عبد الرحمن الداخل إلى ملتمسه وأقره واليا على سرقسطة، ولكن سعيد بن الحسين فرَّ من معسكر الأمير عبد الرحمن الداخل أثناء الطريق، حيث أنه لم يقم في معسكر الأمير إلا يوماً واحداً(١٢٨).

فلما رأي الحسين بن يحيى أن عبد الرحمن قد ارتدَّ عنه، وعاد إليه ولدهُ سالماً نكث بعهده، وعاد إلى الثورة وعاث فساداً في سرقسطة وأعمالها، فأعتزم الأمير عبد الرحمن أن يعود لقتاله سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) وأن ينكّل به وبأنصاره، فبعث إلى الشمال جيشا كثيفاً بقيادة غالب بن تمام بن علقمة، فخرج الحسين إلى لقائه ووقعت بينهما معارك شديدة هزم فيها الحسين، وأسر ولده يحيى وعدة من صحبه(١٢٩) فأرسلوا إلى قرطبة حيث أمر الأمير عبد الرحمن بإعدامهم، وأمتنع الحسين بالمدينة واستمر غالب في حصاره وفي العام التالي سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م) سار عبد الرحمن إلى سرقسطة وحاصرها بشدة ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقا وضربها بعنف فملكها عنوةً وقتل الحسين أقبح قتله ونفي أهل سرقسطة منها ليمين تقدمت منه ثم ردهم إليها حتى هدم أسوارها وأقتحمها عنوة وقبض على الحسين وجماعة من صحبه فقتلهم جميعاً، وشرد كثيراً من أهلها، وفر سعيد ولد الحسين، وعين عبد الرحمن قائده ثعلبة بن عبيد واليا على سرقسطة وكان قد افتداه من شارلمان(١٣٠).

(١٢٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٨٧.
(١٢٩) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٤٩.
(١٣٠) ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٢٤٩.

سعيد بن الحسين الرهينةُ الهاربُ

من خلالِ الأحداث يتضح أن الأمير عبد الرحمن الداخل قد أخذ سعيدَ بنَ الحسين بن يحيى رهينةً من أبيه ثم تحول عن سرقسطة، ولكن سعيداً لم يقْم في معسكر الأمير إلا يوماً واحداً حيثُ أعمل الحيلةَ وهرب إلى منطقة بليارش Pallars وذلك في الوقت الذي كان فيه الأمير عبد الرحمن متجهاً إلى الشمال الشرقي مخترقاً بلاد البشكنس (نافار) ليعاقبهم على عدوانهم وغزا بنبلونة ثم عاد إلى قرطبة ظافراً(١٣١)، ولم تمُّدنا المصادر بمعلومات عن سعيد بن الحسين ومعاملة عبد الرحمن الداخل له أو عن كيفية هروبه غير المعلومة التي أمدنا بها المؤلف المجهول، أن سعيداً أعمل الحيلة في الهرب، والظاهر أن الرهينة سعيد بن الحسين كان شاباً والدليلُ على ذلك تخطيطه و نجاحه في الهروب، ولو كان طفلا لخشي العواقب وقد يكون أظهر رغبةً في الاشتراكِ في القتال مع جند الأمير فخفت الرقابة عليه، أو أنه استغل انشغال جند الأمير عنه وتأهبهم لغزو بلاد البشكنس، فغافلهم وقام بالهرب.

ولكن ما هي الأسباب التي دفعته للهروب؟ هل تعرض لمعاملة سيئة من الأمير عبد الرحمن الداخل أو من جنده! نجد أن المصادر صمتت في تقديم أي معلومات.

لم يتتبع الأمير عبد الرحمن الرهينة الهارب، ومن المحتمل أن الشاب سعيداً بن الحسين هرب لأنه كان على يقين بمخطط والده في الثورة والخروج على الأمير عبد الرحمن الداخل والدليل على ذلك هو قيام الحسين بن يحيى بالثورة ونكث بعهده وأعمالها، عندما عاد إليه ولده سالماً

(١٣١)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٨٧.

فأعتزم الأمير عبد الرحمن أن يعود لقتاله سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) ونجح الأمير عبد الرحمن في أسر يحيى بن الحسين وعدد من أصحابه واقتحم المدينة عنوة، وقتلهم جميعا، وشرد كثيرا من أهلها(١٣٢)، ولم يحاول الأمير عبد الرحمن تتبع الرهينة الهارب، معتقداً أنه تخلص نهائياً من الفتنة بقتل الحسين بن يحيى وأنصاره.

وتوفي الأمير عبد الرحمن في (الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة (١٧٢هـ/ الثاني من أكتوبر٧٨٧م) وهو في نحو الثامنة والخمسين من عمره (١٣٣)، فنجد فترة حكمه امتدت من سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) وحتى سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م) وكانت قد قامت عليه أكثر من خمس وعشرين ثورة(١٣٤)، في كل مكان من أرض الأندلس، وبصبرٍ شديدٍ وأناة عجيبة أخذ عبد الرحمن الداخل يروّض هذه الثورات الواحدة تلو الأخرى، وبحسب ما يتوافق معها أخذ يستميل بعضها ويحارب الأخرى وهو يقمعها بنجاح عجيبٍ، ونجده لم يتخذ رهائن من الثوار إلا مع يوسف الفهري ورهائن من هشام بن عذرة الفهري الثائر في مدينة طليطلة ومن الحسين بن يحيى الأنصاري في مدينة سرقسطة ولم يتخذ رهائن من باقي الثوار! وذلك يرجع لعدة أسباب منها رغبة عبد الرحمن الداخل بأن ينفرد بحكم الأندلس من يوسف الفهري

(١٣٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٤٩.
(١٣٣)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٩٢.
(١٣٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورات أنظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٤ - ١٠٨، ابن القوطية: أخبار مجموعة، ص ٤٩- ٥٥ ؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٧ - ٥٨ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٢٠-٢٢٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٥– ١٥٨؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٢ -١٦٧؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص ٩٣ – ١١٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ١٠-٣٠ ؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية، ص٣١ - ٤٥.

لأنه يعتبر الوالي السابق للأندلس وله العديد من الأنصار في الأندلس عامة وفي مدينة طليطلة خاصةً والتي تتميز بمناعتها وقوة حصونها (١٣٥).

واتخذ الأميرُ عبد الرحمن الداخل، سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري رهينة وذلك لان مدينة سرقسطة تعتبر من كبريات مدن الأندلس وأعظمها (١٣٦) وأنها مدينة حدودية وكان عبد الرحمن الداخل يخشى من أن يحدث اتفاقُ بين حاكم سرقسطة وشارلمان، وخصوصا أن ثوار مدينة سرقسطة نجحوا في التغلب على الحملة التي أرسلها عبد الرحمن الداخل لتأديبهم سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي (١٣٧).

أما باقي الثورات التي كانت ضد الأمير عبد الرحمن فكانت ثورات قام بها أفراد تميز بعضها بالضعف وتميز البعض الآخر بالقوة، فكان لابد من مواجهتها والقضاء عليها، وبعض هذه الثورات سعت إلى جمع المعارضين والعناصر الناقمة على حكم الأمير عبد الرحمن الداخل مثل ثورة العلاء بن مغيث الجذامي (١٣٨) في مدينة باجة سنة (١٤٦هـ /٧٦٣م) التي تميزت بكثرة من انضم إليها من الناقين على حكم عبد الرحمن الداخل، وأنها كادت تطيح بدولته. ولكنها انتهت بمقتل العلاء وتشتيت جنده سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م) (١٣٩).

---

(١٣٥) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا، ص ٨٦ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص٢٣٨،٢٣٧ ؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص١.

(١٣٦) الإصطخري: إبراهيم محمد الفارسي: المسالك والممالك، ص ٣٥.

(١٣٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤ ؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢ ؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦٤.

(١٣٨) العلاء بن المغيث الجذامي: ويقال الحضرمي من أهل باجة بالأندلس وقيل أنه قدم من إفريقية إلى الأندلس بإيعاز من العباسيين، نزل مدينة باجة في غربي الأندلس وأرسل إليه الخليفة أبو جعفرالمنصور بسجل ولواء وبتفويض من قبله بولاية الأندلس، فخطب لأبي جعفر بباجة وما جاورها وأذاع أن عبد الرحمن الداخل خارج عن سلطان الخلافة الإسلامية ومغتصب للولاية؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٣؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٤ ؛ ابن حزم: نقط العروس، ص ٧٥ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٤١.

(١٣٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٤ ؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٨؛ لين بول: قصة العرب، ص٦٤.